

الفاعلون الدينيون المحليون والحماية في البيئات المعقدة وغير الآمنة

جيمس تومسون

القادة الدينيون والمنظمات القائمة على العقيدة و المجتمعات الدينية المحلية يمثلون دوراً رئيسياً في حماية الأشخاص المتأثرين بالنزاع والكوارث والتَّهجير. لكنَّ المنخرطون في العمل الإنساني بالكاد يدوُّوا في إبداء فهم كامل لعمق ونطاق وتنوع عمل الحماية الذي ينجزه الفاعلون الدينيون ودرجات تعقيد العلاقات القائمة بين العقيدة والحماية.

رغم التشارك في القيم والمبادئ الإنسانية والمصالح المشتركة في توفير الحماية، غالباً ما كان الفاعلون الإنسانيون الدينيون والعلمانيون يعملون في عالمين منفصلين ومتوازيين نوعاً ما. فعلى المستوى الوطني، ليس من الغريب أن نرى مجموعتين من الفاعلين الإنسانيين وهم يجاهدون في فهم النظم والطرق التي يعملون بها، فضلاً عن قدرة أي منهما على فهم هيكلية الطرف الآخر، وذلك رغم أنَّ كلاهما يناضل من أجل حماية المجتمعات ذاتها.

ويعود أحد أسباب هذا الانقسام إلى أنَّ العمل الإنساني الغربي غالباً ما كان موسوماً بالقيم العلمانية وكان يميل إلى تجاهل تأثير العقيدة أو التقليل من شأنها خارج نطاق الإيمان الخاص بالفرد.

لكن وإن تقلصت مساحة تأثير الدين في البلدان الصناعية، فغالبية الناس المتأثرين بالنزاعات والكوارث والتَّهجير هم أشخاص يؤمنون بعقائدهم، وبالنسبة لكثير من الناس، تمثل المعتقدات والقيم الدينية دوراً محورياً في حياتهم وتساعدهم في رسم ملامح الطريقة التي يفهمون بها العالم من حولهم ويجدون لأنفسهم دوراً فيه، بل تقدم هذه المعتقدات لهم بوصلة أخلاقية تشير إلى ما هو صحيح وخطأ وتساعد الناس على التكيف في أوقات الأزمات. وقد تشجع العقيدة أعمال الحنو والشفقة والتسامح والاحترام لكرامة الإنسان مع إلهامها لمعتنقيها بالعدالة الاجتماعية والتصالح وفض النزاعات.

وغالباً ما يكون القادة الدينيون المحليون والمنظمات القائمة على

العقيدة جزءاً قوياً أساسياً من المجتمعات المحلية ويحصلون على احترامها، كما أنهم أكثر انسجاماً مع القيم الثقافية المحلية وعوامل التغيير الاجتماعية والسياسية. وعادة ما يميلون إلى إلهام درجة عالية من الثقة ضمن مجتمعهم ما يمنحهم تأثيراً كبيراً أكبر من تأثير المعايير والثقافة والسلوك المحلية وكلها من الأمور الحيوية المهمة لعمل الحماية القائم على المجتمع المحلي. ولا بد من الانتباه إلى أنَّ مجرد حجم القاعدات الشعبية لتلك المنظمات وتأثيرها وترابطها غالباً ما تمنح المنظمات نفوذاً لا يُستهان به إزاء السلطات الحكومية والفاعلين من غير الدول. وهناك المشاركة بعيدة الأمد بين الفاعلين الدينيين والمجتمعات المحلية والسلطات الحكومية فهي تتيح لمبادراتهم الخاصة بالحماية بالتجنز في المجتمعات وإدامة الجهود للتصدي للقضايا الجذرية والأطام المتغيرة للسلوك أو مناصرة التغيرات في القانون والسياسات.

لكنه لن يكون من السهل تجسير الهوة في العمل الإنساني بين الجانبين الديني والعلماني وتعزيز مشاركة الفاعلين في المجالين وتقوية الشركات فيما بينهما لتحقيق الحماية. فللفاعلين الدينيين حوافز وطرق متنوعة في العمل كتنوع الثقافات والمجتمعات التي تديم تلك الحوافز والطرق، ويمكن القول إنَّ قليلاً من البحوث نسبياً أجري لفهم نطاق وتنوع عمل هؤلاء الفاعلين في مجال الحماية أو لتوضيح أدوار الحماية الأنسب لتمثيلها ومسوغات ذلك. وما أنَّ عمل هؤلاء الفاعلين لا يكاد يظهر للعيان وما أنَّ المنظمات القائمة على العقيدة والقادة الدينيين نادراً ما يرتبطون في منظومة العمل الإنساني فذلك يجعل من التنسيق والتعاون وتكامل الأدوار من التحديات.

وهناك تحديان آخران أيضاً. فكثير من المنظمات القائمة على العقيدة تفتقر إلى الخبرة وبعضها لا يرغب في تولي قضايا

ديسمبر/كانون الاول ٢٠١٤



لاجئون من ميانمار يدخلون مجمع كنائس سبتيو اليوم السابع في مخيم أوميوم في مقاطعة تالك في تايلندا.

ووجود تلك المنظمات قبل الكوارث والنزاعات وأثناءها وبعدها أيضاً أن تقدم الدعم لهم (الطمأنة الروحية والإرشاد الديني يعني أنها في مكان مناسب لتقديم الإنذار المبكر والعمل المبكر أيضاً منعا للنزاع وتعزيزاً لجاهزية المجتمع للتعامل مع الكوارث

أو النزاعات. ويرتبط بذلك دور تلك المنظمات بصفاتها المستجيبة والأوائل بعد وقوع الكوارث إذ غالباً ما يكون هذا الدور حساساً وجرحاً. وغالباً ما تُستخدم المدارس والكنائس والمعابد والمساجد كملاذات آمنة ومراكز لتنسيق جهود الاستجابة. وكذلك هياكلها التنظيمية وشبكتها، وإن كانت عرضة للتوقف عن العمل من وقت لآخر، توفر قدرات محلية جاهزة للاستجابة. ومقدور القادة الدينيين أيضاً والمنظمات القائمة على العقيدة أن تستفيد من رأسمالها الاجتماعي لإطلاق مبادرات جديدة وكسب الدعم من المجتمع المحلي وحشد المتطوعين.

ومن هنا، إذا غاب عن بال العاملين في المجال الإنساني أهمية دور

العقيدة أو في حالة عدم اهتمامهم بدورها في حياة المجتمعات المتأثرة بالأزمات فسوف يجدون أنفسهم إزاء حواجز وتبعات غير متوقعة وسيفقدون الفرص اللازمة لإقناع المجتمعات وحشدها بل قد يتسببون بأذى غير مقصود. أما المنظمات القائمة على العقيدة والمجتمعات المجتمعات الدينية المحلية فتفهم الدور الذي تمثله العقيدة في مساعدة الناس على الاستشفاء من الإساءات بل يمكنها

جيمس تومسون jthomson@actforpeace.org.au المدير

المشارك للسياسة والمناصرة لدى منظمة العمل من أجل

السلام (Act for Peace)، وهي عضو في ACT Alliance

العالمية. www.actforpeace.org.au